لقاء
RENDEZ-VOUS

العُنوان الذي يصبح عادةً مشكلةٌ. إنّه من الممكن أن يصبح شعارًا يتآكل تباعًا في روتين الحياة اليومية. فالعُنوان وما يتضمّنه وأسفله عُرضة لخطر البلاء. فمن فَينة إلى أخرى تجب إزالة الغبار المتراكم على وجه العناوين، وفحص ما يستتر من تحتها هناك.

ما معنى العُنوان "چاليري كابري – چاليري تشاركيّ يهوديّ – عربيّ في الجليل"؟ لقد حرّك هذا السؤال سيرورة، تلخّصت بمعرِض جماعيّ يحتفي بمرور عَقد من العمل والنشاط بصيغة تشاركية. فبمحاولة لاستيضاح وتركيز الهُوية استجاب فنّانو الـ چاليري لعملية تمّت المبادرة إليها هي عبارة عن "تمرين في التقرّب"، "دعوة إلى موعد"، أو "لقاء ثنائيّ". تقف من وراء هذه العملية رغبة في العثور على نقاط اتّصال ولقاء والتركيز صوب اتّجاه. طُلب من الفنّانين الخروج من الأستوديو الخاصّ، من مِنطقة الراحة المقدّسة، وأن يشكّلوا سيرورة مشتركة مع زميل أو مع موضوع أو هدف آخر غيرهم. وكردّ على عمل أمانة المعرِض الذي يشبه عمل وسيط الزواج توزّع فنّانو الچاليري بحرّية اختيار إلى أفراد، أزواج، وثلاثيّات.

في مشاريع العمل التشاركيّ العربيّ – اليهوديّ صعوبة مبنوية. هل يشعر الشركاء بأنّهم شركاء فعلًا؟ هل لكلّ واحد مكان؟ هل بالإمكان سماع تعدّد الأصوات أم أنّ الحوار مجسّم، نشاز، أو حوار طرشان؟ فعن غير قصد يمكن أن نجد أنفسنا داخل رسمة أو تسجيل وفيه خطّان متوازيان، مثل رحلة إلى جانب سكّة قطار. العُنوان باللّغة الفرنسية "رَنْدِڤو"– le Rendez-vous\ موعد، لقاء، مقابلة\ Meeting – يصف السيرورة وقصد المعرِض، وإنّه يشكّل، أيضًا، مخرجًا محايدًا بين لغتَي هذه البلاد المنطوقتيْن – العربية والعبرية. رَنْدِڤو هو لقاء حميميّ في مكان ووقت محدّديْن. لقاء عمل أو لقاء رومانسيّ، لقاء حبّ، وسريّ، أيضًا، أحيانًا. إنّه لقاء يمنح مكانًا لعمل المشاهد ويترك مكانًا، أيضًا، للتأويل.

كعدد أعضاء الچاليري كذلك هو عدد الاختلافات وأنماط التطبيق لمَهمّة البحث والتقرّب. لقد اختار زوجان من الفنّانين أن يرسما على الصيغة نفسها. فترى فنّانًا قد تكاتب بطرح مع فنّانيْن آخريْن. وترى زوجَيْ فنّانين آخريْن قد خرجا إلى سلسلة لقاءات في قرًى وبلدات في الجليل، كانت قائمة قبل سنة 1948، وترى القدرة على الإنصات للحكايات المتوازية والمؤلمة ملحوظة في عملهما الإبداعيّ. وترى بعض الفنّانين الذين أجروا موعدًا مع مقرّبيهم، مع تشبيهات أو ذكريات بعيدة. وهناك من اختاروا أشياء صامتة، من قبيل موعد مع دلو، أو مع مبنًى قائم في الكابري – الترسانة.

كانت هناك محاولات فشلت ولقاءات ثنائية تحطّمت. فالسيرورة تعلّم ليس أقلّ من النتيجة. يمكن أن نتعلّم منها ما هو معروف – الزوجية عملية غير بسيطة. ومن يختارونها مطالَبون بأن يتحدّوا التنازل. ما هي حدودي؟ عمَّ يُمكنني أن أتنازل وأن أظلّ أنا ذاتي؟ من أنا؟ من أنت؟ التقرّب خطر، أيضًا. معناه الخروج من مِنطقة الراحة، توسيع حدود الذاتيّ، ووضع القلب.

يناقش مارتن بوبر في كتابه "أنا وأنت" علاقات الحوار كأسلوب حياة. فهو يقول إنّ الإنسان الروحانيّ يتشكّل في أعماق الحوار، في الصلة بالآخر، في التعاطف، في الإنصات، في الاحتواء، وفي التفهّم. فيكتب ويقول: "إنّ كلمة – السيتين [الاثنين][1] أنا – أنت يمكن

للإنسان أن يقولها من كلّ قلبه وبكلّ جوارحه، فقط. التداخل والصهر إلى حدٍّ كامل الكيان لا يمكن أن يتمّ، أبدًا، بيدي ولا يمكن أن يتمّ، أبدًا، من دوني. إنّني أصبح أنا بقوّة أنت؛ وبكوني أنا أقول أنا – أنت".[2]

يعتقد بوبر أنّ الإنسان يصبح "أنا" من خلال كيان مشترك مع "أنت"، فقط. يشتغل هومي بابا بنقاط التلامس. إنّه يعتقد أنّ الحضارة تتطوّر في الأماكن غير المستقرّة وغير المتجانسة، من خلال سيرورة تاريخية، بالمفاوضات، بالترجمة، وبالتحوّل والتنوّع. لقد وضع مصطلح "الحيّز الثالث" – مكان هجين فيه التفرّع الثنائيّ – الديخوتوميّ الخاصّ بالمحتلّ [الفاعل] والمحتلّ [المفعول به] غير واضح، وأنّ هناك حركة بين الثقافات.[3]

إنّ چاليري تشاركيّ سنة 2022 يشجّع اللّقاءات، العمل في فريق، نقاط الاحتكاك، التلوّث المتبادل، البعبعة وكذلك الاعتدال. هذه طريقه للبحث عن الجواهر الحية وفكّ التعقيدات وملء العنوان بالمضمون.

مقدَّم في المعرِض، أيضًا، ثنائيّ تاريخيّ لفنّانيْن؛ أوري رايزمان ويحيئل شِمي، وهما شخصيّتان مركَزيّتان في الفنّ الإسرائيليّ، وكلاهما من الكابري. إنّه ثنائيّ مؤثّر وحاضر في الماضي والحاضر للنشاط الفنّيّ في المكان. إنّه ثنائيّ يثير تساؤلات تُراوح بين المجهولية والاعتراف، بين اللّون والمعدِن، بين التشابه والاختلاف، وإنّه يشهد على قوّة عمل الفنّانين بعد موتهم، أيضًا.

يمكننا أن نرى في معرِض رَنْدِڤو – لقاء إمكانية للإنصات لثنائية الحياة، محاولة صادقة وحقيقية لإيجاد حلّ لتحدّي الوجود. إنّها سيرورة مع قليل من التزييفات ومع كثرة أصوات، لكنّها تحمل في طيّاتها، أيضًا، دعوة لساعةِ رومانسية. لأنّ "قليل من الحبّ لن يضرّ"[4]، أو بكلمات مارتن بوبر: "كلّ حياة حقيقية هي لقاء"[5] – رَنْدِڤو.

1 من كلمة "اثنان"

2 مردخاي مرتين بوبر، أنا وأنت، بالعبرية: يهشواع عمير، القدس 2003، ص. 5.

3 هومي ك. بابا، سؤال الآخَر: فرق، تمييز، وحوار استعماريّ (الترجمة إلى العبرية: عدي أوفير)، تيؤوريا وبيكورت، 5 (1994)، ص. 144–158.

4 ألون عدر. من قصيدة "قليل من الحبّ لن يضرّ" – "وحيدًا غير جيّد، معًا سيّئ، فكيفما رأيت إلى ذلك فلا خِيار لك".

5 مردخاي مرتين بوبر، أنا وأنت، بالعبرية: يهشواع عمير، القدس 2003، ص. 5.